

## المقامة الثانية تسمى الكرموسية

تتضمّن وسواسة ابن عيسى و طمعه واختلاف وعده و مدح التين بلاشعار

أخبرني امحمد بن العربي قال كنت في يوم ذهبت لأشاهد سوق المدينة، و أقضي مأرب الخيمة، و أزول الغبينة، و كانت لي بلغة طلاعها مفتوق، و انقابها مخروق، فقصدت وقتئذ نَمِيًّا ركبًا، باخفته صوابًا، و هو يمهر و يعفّق، في نعة على حجرة يتسرّق، فبينما أتكلّم مع الذمّي ليدور بالبلغة و يجددّ طلعتها، و يرقع طرفها و نعلها، إذ رأيت شيخنا ابن عيسى طالعاً مع الواد، مهدونًا في مشيه كأنّه من أهل الرغاد، فلقيته ماشيًا بالحفي، و طرت عليه من الفقى، فلما سلّمت عليه و سألته عن أحواله، و كيف حاله من امتحاله، زفر زفرة المفترق، و كاد من الغيظ يخنتق، فقلت له لا أحزن الله قلبك، و لا انجح همتك، ما هو محالك و امتحانك، فقال ما رايت ما اقول لك الا ما وقع بي من العلماء، الذين هم ظلمًا، و قد قيل ان ما يدخل النار مائة ظالما، حتّى يدخلها مائة عالما، ثم انه جبد عقدا من جيبه، و ضرب به علي و قال اقرا ما مكتوب عليه، فناولت المكتوب و فتحتة و اذا المكتوب عليه، نصّه بالمحكّمة الشرّعية بشريعة اولاد بن عوالي ذي القسم الخامس من عمالة الظليمة لدى قاضيها المتولي فصل خصوماتها و هو الفقيه السيد محمد قبيح الفعل اغناه الله و عدوله امّدهم الله بعونه أمين حضر لدينا الشايب المقشّتل<sup>9</sup> المستدغم ذو البرنوس الأصفر المتفر<sup>10</sup> و القمجة المفلوقة المهدوعة<sup>11</sup> هو السيد الحبيب بن عيسى المسنّ بخمسة و خمسين سنة القاطن بدوّار اولاد بن عوالي و ادعى على مقابله و هو الكهل المكر السيد ابلاحة بن عبد الرحمان المسن باربعة و ثلاثين سنة القاطن بدوّار عرابية فمن دعوى الاول و هو السيد الحبيب بن عيسى المذكور انه قال

<sup>9</sup> المقشّتل هو الغليظ الخشين طويل القامة و غليظ الثوايم.

<sup>10</sup> البرنوس المتفر هو البرنوس الي جلاله قصير و اجنحاته طوال و كلبسه مولاه يكون قصير عليه من ورايه و طويل من قدامه و يقولوا فيه متفر و الي يلبس البرنوس المتفر عار عند العرب.

<sup>11</sup> القمجة المهدوعة هي الي فتقت خياطتها و تمزقت و يقولوا انه دعت.

كنت اتيت بالامس إلى فلاج سان لوسيان لانظر ما يفتح الله لي فبينما أجول في الفلاج اذ بي التقيت مع سي ابلاحة بن عبد الرحمان المذكور فسلمت عليه و سألته عن حاله و صرت اتمشى معه في زقاق الفلاج حتى اهويانا إلى حجرة<sup>12</sup> منجرة كبيرة كاينة حذو الساقية الجارية مقابلة لسوق الفلاج و مرقبة على طريق الحديد الذاهبة من تليلات الى ابي العباس فجلسنا عليها و صرنا نتحدّث في انواع الكلام اذ بالسيد بلاحة المذكور قال لي يا سيدي الحبيب الم تعلم ما صنعت انا في هذا الصباح فقلت لا علم لي اعلمني يا حبيبي ما ذا فقال لي انا ذهبت بكرة الى جناني فلما دخلته وجدت كرومه معنقة بالتين الطابية الملوية عسلها هائل منها، و ناموسها حايط بها<sup>13</sup>، وجدتها كما قال الشاعر في مدحه:

غلة الكرامس تعجبني \* فايقة على كل نعائم  
 اذا التوت في الغصن الداني \* للبيع سهلة القايم  
 يقطر عسلها حقاني \* كالدموع من خشية نادم

<sup>12</sup> حجرة منجرة ما كانت هذه الحجرة و ما تصلح: هذه الحجرة منجرة مربعة موضوعة على خزنة ماء موجودة بين طريق الحديد و الطريق المنجورة الكاينة بين تليلات و ابي العباس مسامية الطريقة الكبيرة المشهورة بفلاج سان لوسيان و قريب هذه الحجرة ساقية ماء جارية تنشط الي جمع على الحجرة و هي مقابلة الحانة يعني التبرنة متاع لابروا و على ما يقولوا على ابن العربي هو قال حدثنا ابو محمد الطيبي عن ابن خودة الصباحي عن ابن عمر البطيوي عن صاحبه العكروطي عن الاعماش عن ابي محمد الشيباني انه قال كنت يوم من الايام جالس على الحجرة المنجرة اذ بطفلة عاتقة اصبنولية اسمها طريزه ببيكة خادمة في التبرنة المقابلة للحجرة وعدت للساقية الي قرب الحجرة باش تغسل مواعن لها في الساقية و منين مريعت لتغسل مواعنها تصيبيني جالس على الحجرة وانا صامت نخمّ قالت لي واشت تخم فيه قلت لها ايا ببيكة انا راني نحدث مع نفسي و نقول لوكان عندي كثير المال نجعل لك قصر في بلادك مدريد تسكني فيه فصل الربيع و نبني لك قصر في باريس تسكني فيه فصل الصيف و قصر في الجزاير تسكني فيه فصل الخريف و القصر الرابع لفصل الشتا ما نعرفش اش من موضع احسن نجعلك فيه ايا ببيكة قولي اش من بلد؟ قال تبسمت لهذا الكلام و قالت يا الهدار لوكان عندك ما قلته لي لوكان ما جيت شي مزبوط لحتى تجمع على هذه الحجرة تطيب اترامك و افخاضك و ما تولي شي تتكلم معي هكذا، و من بعد قامت و ولت متبختره و خلتي يابس على الحجرة و صبت كلامها هو الصواب و ما عرفت شي ما نقول.

<sup>13</sup> ناموسها حايط بها يعني الناموس حايط بكروم التين و هذا الناموس يخرج من الذكار الي يعلّقه في الكرم و لولا الذكار بزرعه ما تصلح شي التين غير تسقط من كرومها.

فصرت اجول فى الجنان والتقط الكرامس و اكل ثم التقط و اجعل فى غراستي<sup>14</sup> حتى شبت واملت الغرسة ثم انى التقت كرموسة و صرت انظر اليها و اقول فى بالى ان من يعطينى صولديا للحبة ابيعها فقلت فى نفسى والله انى لا ابيع حبة و لو بستة افلاس و فلتت الحبة و اكلتها قال الحبيب بن عيسى لَمَا سمعت منه ذلك طاش عقلى و سالت ريوڤى و انفتحت عيونى ثم طرقت براسى الى الأرض و قلت فى نفسى انى أتيت إلى الفلاج لأنظر ما يفتح الله لى فهذا هو الفتح المبين ثم رفعت رأسى و قلت له يا حبيبى و يا قرة عينى ألا تهب لى شيا أو تصدق علىّ بشى ممّا أفاء الله عليك و تذهب بى إلى جنانك لأخرف شيا من التين و أتى بشى فى غراستي إلى بنت سعد زوجتى فقال لى حبا و كرامة غدا إن شاء الله صباحا أت بغراستك و اجلس على هذه الحجرة حتى اقدم عندك ثم نذهب سوا للجنان فلما سمعت منه ذلك الإقبال اطمأن حالى و شكرته و قلت له تالله إنك لمن العرب الاقدمين ثم انصرفنا على ذلك الوعد من غير خلاف فلما اصبح الصباح أتيت بغراستي حتى وصلت الحجرة المعلومة و جلست عليها و صرت أراقب الطريق التى من جهته و مهما أتى أحد بالطريق أقول هذا هو فإذا ليس به فلم نجد خبرا، و لا أثرا، و لا عثرا، حتى خلت أن الأرض ابتلعتة، أم الجنّ اختطفه، فلما جاز وقته، و خاب وعده، أخذتني الإلهاب، و أنتتى الجلباب<sup>15</sup>، و غلب الاياس الطمع، و امتنع الرجى و انقطع، فصرت كمن ضيع اللبن فى الصيف، و لم أر سى ابلاحة فى الحيف<sup>16</sup>، فحينئذ تأهوت و تكسّلت، ثم تأسفت و حوقلت، و استرجعت و لكن حين جاز الوعد والوقت تنفّست الصعدا، و أوددت أن أبكى و أبكى البعدا، و قمت أقدم أرادلى، و أسحب ذلالى، و لبست ثوب الهّم فى الحين، على خلاف وعد التين، و رجعت من حيث أتيت، إلى وكري منفليت، فلما وصلت خيمتى، و علقت غراستي، اتكلت فى الرجل، و سرحت رجلى فى الرمل، فإذا

<sup>14</sup> غراستي : هي الي يديروها موالين الجنان باش يحملوا فيها الخريف كالتين و العنب و غيره و يصنعوها من الكلخة و عيدان الضر و كيفية التركيب يقسموا الكلخة عيدان مستويين و بعد يشقوها انصاف انصاف و يديروا عيدان من ضرر محصورين بشرطان كبحال الدارة و يشبكوا الكلخة على العيدان و تصبح غرسة.

<sup>15</sup> الجلباب: هي الرعدة تكون مرض مع الحمة و الياعوز بالله منها.

<sup>16</sup> فى الحيف: هي ساعة المعركة فى القتال.

بينت سعد دخلت عليّ و قالت لي يا تالي الرجال، يا عاقب المنال، ما وقع لك في هذا اليوم، فسكت عنها و بقيت متغيّر الحال، متشطنّ البال، و بتّ أراقب النجوم، و أقاسي الهموم، و أحببت أن تلك كانت كلمح البصر أو أقرب فلماً أصبح الصّباح، و أبهى الضّو و لاح، قمت مستعجلاً، و ها أنا أتيت بمجلس الحكم طالب العقوبة لمقابلي و الا فالحقّ أحقّ يتبع فعند ذلك هسّ<sup>17</sup> الشّيخ القاضي لكلامه و قال له يا شيخ الحنجارة<sup>18</sup>، يا زاملة<sup>19</sup> العيب و العارة، ألم تعلم أن الطّمع معيبة، و الطّلبة معيرة، فقال له يا سيدي تالله لو أكلت ممّا وصف لي و لو تينة، لكنك شفيت من تسعة و تسعين علّة، فقال له القاضي أتعتمد الشّفا في التّين، و أنت من أهل اليقين، فقال بلي، و هل يخفى عليك المبتلى، فعند ذلك هانت من الشّيخ القاضي لفظة إلى مقابله و قال له ما لك الجواب على كلام مقابلك فتقدّم السيّد ابلاحة المذكور بالقيام، ثمّ تتحنح مستفتحاً للكلام، و قال فوالذي جعلك مفتاحاً للحقّ، و فتاحاً بين الخلق، فإنّي لا أعرف لك إلاّ ما وقع، من اقتباس ما سطع، و هو إنّي كنت أوعده كما قال صحيحاً و لمّا فارقت رجعت إلى وكري، و صرت متذكّراً في أحوالي و أمري، و افكرت بأنّي أوعدت سيّ الحبيب بن عيسى لأذهب به إلى جناني و إنّي أعلم أنّ له مدّة شدقم<sup>20</sup> و بلعة أسد و غراسته واسعة كصناج دجاج، أو شبكة مراج<sup>21</sup>، و إن أوصلته إلى جناني يفترسه حالا و يتركه كمن نزلت به محلّة، أو جازت عليه سحابة، فخلفت وعده و منعت سعيه و أقبلت خطية الحكم المقتبس، و لا سخيت بجناني يفترس، فهذا هو الواقع فأحكم بيننا بما أراد الله، و لا تخفي ما أمر به رسول الإلاه، فحينئذ ردّ الشّيخ القاضي كريم علمه، في الدّعوة و أوعاه، و نظر في كلام الحبيب بن عيسى و وجده

<sup>17</sup> هسّ: بمعنى سمع و صغى.

<sup>18</sup> شيخ الحنجارة: هو ذكر الدجاج و هو الديك على خاطر مشغول سوى بما يملي حنجرته و الحنجارة هي في عنق الطير بين صدره و فرجومه يجمع فيها الحبوب الي يلقطها من الارض.

<sup>19</sup> الزاملة: هي الزائلة و الا الحمل الي على الزائلة.

<sup>20</sup> الشدقم: هو البعير من الابل و لا يخفى بالي الجمل اذا مدّ عنقه باش ياكل الحاجة البعيدة تولّي قريبة على خاطر عنقه طويل.

<sup>21</sup> شبكة مراج: يعني صاحب مروج و مفردها مرجة هو محل ينحجر الماء و حولها كثير القطا و الحجل و الشبكة هي الي يصنعوها من خيطان مشبكة يصطادوا بها الحيتان في البحر و الطيور في المروج.

عدم شرط الهبة و لم يجرز حالا و اطلع على قول الشيخ خليل في باب الهبة والعطية و الصدقة عند قوله و إن بلا إذن إلخ ثم نظر في قول مقابله السيد ابلاحة المذكور و وجده رجع في هبته و أطلع على قول الشيخ خليل المذكور عند قوله أو وهب لمودع و لم يقبل لموته إلخ و وجد كلا منهما استوجب التأديب أمّا السيّد الحبيب المذكور إنّه تطبّع بالطبّع القبيح و كسران الوقر<sup>22</sup> على همّته و ذلك لا يسوغ له و أمّا السيد ابلاحة فإنّه خشية أن يتّصف بالبخل أمر على كلا منهما أمّا السيّد الحبيب بن عيسى يجلد على بطنه بمشحات زيتون غلظه كالخنصر و طوله شبران و مفصلان و يجلد من يد طالب يكون سنّه أكثر من إحدى و عشرين سنة بعدد ما مضت من الأيام من السنة العجمية من يوم التاريخ و الضرب يكون متوسطًا على بطنه مرتفقا و ذلك أن يرفع المشحات بينه و بين بطنه قدر دراعين مالكية<sup>23</sup> فقط ثم ينزل عليه بخفة متوسطة و أمّا السيّد بلاحة المذكور فإنّه ملتزم بخطية و هي زردة للطلبا كالعرب والعادة \* حكمًا تامًا لازمًا ما أشهد به و أمضاه و أمر الحكم بمقتضاه و أمر جميع الولاة المتصرفين بتنفيذ هذا الحكم بتاريخ ٢٣ من شوال عام ١٣٠٥ موافقا 3 جوليت سنة 1888 و كتبه عبد ربّه أحمد بالهاشمي بالشيخ \* و عبد ربّه أبو القاسم بن اعمر \* صحّ ما فيه وبه عبد ربّه محمد قبيح الفعل أغناه الله و لطف به أمين \* قال المخبر بهذه الحكاية لما أتممت قراءة العقد، المحكوم بالشّد و الجد، قلت له و لم ذلك مع فصح لسانك، و ترتيب كلامك، تتهدّ و قال يا ولدي ألم تعلم بأنّ الرشوة<sup>24</sup> عبدة، والدراهم زيدة، و أن كبشا سميّنا عند الطلبة أفضل من سبعين خطبة، و لله در الناطق بنظمه الفايق:

<sup>22</sup> كسران الوقر: يعني قلة الحيا و الوقر الحرمة و العرب عندهم كبير السن و الحاكم يحشموا منه و يوقّروه و يحارموه و اذا خالفوا يقولوا كسران الوقر عليه يخفض همته.

<sup>23</sup> ذراعين مالكية: الذراع هو ما كان في طوله شبرين و كل شبر عرضه عشرة اصابع و كل صبع عرضه سبع حبات من الشعير و كل حبة عرضها سبع شعرات من شعرات البرذون و هو العود الغليظ.

<sup>24</sup> الرشوة: ما يرتشي به الحاكم على الحكم و هي معلومة.

المرو الي شففته قَتَّالاً \* و ما تغلبه ما تطيق عليه  
عَبْد له لو كان غير إِسَالاً \* اطعم كرشه يستحوا عينيه

ثمَّ أخذ العقد و هرولا، و تركني في السّوق مهولا.